جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربيـــة للعلوم الإنـــسانية
قـــســـم اللغـــــــة العربية
الدراســات العليا

التوظيف الأسلوبي للتثنية في التعبير القرآني

رسالة ماجستير قَدَّمَها

الطالب

عبد الرحمن محمود كريم ناوي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها (الأدب)

بإشراف:

أ.م.د. وسن عبد المنعم الزبيدي

١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

الفصل الأول

التوظيف الصوتي

في سياق التثنية

إضاءة

يأخذ الدرس الصوتي ركنًا مهمًا وبارزًا في الدراسات الحديثة؛ إذ يُعدُّ المرتكز الأول الذي تقوم عليه أغلب الدراسات اللسانية. وعند الحديث عن المستوى الصوتي، فهذا يعني أننا نتحدد بحاسة واحدة من حواس الانسان، وهي الأذن فقط، فمقدار تأثير الكاتب في متلقيه يتوقف على أسلوبه في صياغة الكلام ومراعاة ذوق سامعيه، فالصوت هو بنية الكلام الأساسيّة في جميع اللغات، كما أَنَّهُ المادة الخام التي تساعد في إنتاج اللغة، وأسلوب الكلام يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمشاعر الإنسان النفسيَّة وحالاته الشعوريَّة؛ إذ يقول مصطفى الرافعي: ((وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يُخرِجُ فيه مدًّا أو غنَّةً أو لينا أو شدَّةً، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع، أو الإطناب أو البسط، بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى))[١].

وفي الدراسات الأسلوبية الحديثة يكون الوقوف على المستوى الصوتي أولى خطوات هذا المنهج اللساني، فـــ((علم الأصوات فرع رئيس لعلم اللسانيات، فلا النظرية اللغوية ولا التطبيق اللغوي يمكن أن يعملان بدون علم الأصوات،

---

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي:٢١٥و٢١٦، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ٩، ١٣٩٣ هـــ - ١٩٧٣م.

وليس ثمة وصف كامل للغة بدون علم الأصوات))[١]. هذه المزايا الواسعة للصوت انعكست لدى الكُتَّاب والمبدعين في دراساتهم وبحوثهم؛ إذ نجد المبدع عندما يكتب شيئًا ما يراعي نفس المتلقي، فيختار أفضل الألفاظ وألطفها لبناء نص متماسك يحوي إيقاعًا مميَّزًا يستميل القارئ ويستهوي ذهنه.

وعند الحديث عن أسلوب القرآن الكريم وإيقاعه الصوتي، نجده كلامًا جميلاً لا يمكن للقارئ تمييز بعض آياته عن الأخرى لجمال التعبير، ودقّة اختيار الألفاظ التي تحوي إيقاعًا موسيقيًّا مُميَّزًا يرسم لوحة جمالية رفيعة ((فعندما نسمع القرآن قراءة تدبر وتمعن، ندرك انه يمتاز بأسلوب إيقاعي ساحر يستولي على الأحاسيس والمشاعر، فهو بذلك يجمع بين مزايا النثر والشعر في آن واحد))[٢].

فأسلوب النص المعجز يحوي نظامًا صوتيًّا منتظمًا في حركاته وسكناته، ومدَّاته وغنَّاته انتظامًا فريدًا، ويبرز هذا النظام من التئام الحروف في كلماتها، والكلمات في سياقها، وما يؤديه هذا السياق من جَرس موسيقيٍّ ينتظم مع الصورة المتنوِّعة والمعاني المختلفة الَّتي يؤديها.

---

[١] محاضرات في اللسانيات، د. فوزي الشايب: ٤٨، وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩٩م.

[٢] جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم:٧،(رسالة ماجستير)، محمد الصغير ميسة، إشراف الأستاذ د. عمار شلواي، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

المبحث الأول

الفواصل المستندة إلى التثنية

مدخل:

تُعدُّ الفاصلة القرآنية من الصور الأسلوبية الحيَّةِ التي ترسم تناسق وانسجام النص المعجز، بإيقاعها الموسيقي الفريد الَّذي ينتج عن التلاؤم بين اللفظ والنسق الذي يرد فيه، ما يعطي السياق قيمة جمالية ودلالية بارزة، لا تقتصر على الناحية الصوتية فحسب، بل تتعدَّاها لتأتي لمقتضيات معنوية أُخر تنسجم مع الجرس الإيقاعي الخاص بها، وائتلافها مع الألفاظ التي اقتضتها تلك المعاني. وقد عرَّفَهَا الرُمَّاني (ت٣٨٦ هـ) بأنها: ((حروف متشاكلة المقاطع توجب حسن إفهام المعاني))[١]، أما الزركشي (ت ٧٩٣هـ) فقد جعل الفاصلة كقرينة السَّجَع في الكلام المنثور، وكالقافية في الكلام المشعور[٢]. فهي جزء لا يتجزَّأ من تركيب الآية القرآنية وبنائِها الدَّاخليّ؛ إذ تختتم بها كلُّ آية، ويكمل معها معناها، ويَتمّ نغمها الموسيقي[٣]. وتُسَمَّى بالفاصلة؛ لأنَّ الكلام عندها ينفصل عن الكلام الذي يليه؛ إذ ذكر الله تعالى أنَّ هذا القرآن نزل مُفَصَّلاً بقوله: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ {الأعراف: ٥٢}. وقوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ

---

[١] النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي: ٩٧، تحقيق: محمد خلف الله احمد، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط ٣، (د.ت).

[٢] ينظر: البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: ٩٣/١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

[٣] ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي: ٦٥، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، ٢٠٠٥ م.

أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ {هود : ١}. وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ {فصلت: ٣}. فهي القفل الإيقاعي لكلِّ آية، والموضع الذي يستريح به القارئ المرتّل للقرآن الكريم، كما أنَّ الضربات الإيقاعية للفاصلة القرآنية أشبه ما تكون بقافية الشعر، أو قرينة النثر، غير أنَّ الاختلاف يكمُن في الالتزام بها فالشاعر مُلزَم أن ينهي قصيدته بحرف أو حرفين من بداية القصيدة إلى نهايتها، وهذا ما يؤدّي به إلى التكلف أحيانًا من أجل إرضاء القافية، ولو كان ذلك على حساب المعنى وجمال التركيب، ويظهر ذلك جليًا عند كُتَّاب النثر أيضًا الذين يميلون إلى المحسنات اللفظية في كلماتهم، ما يصرفهم عن جمال المعنى ويبعدهم عن تناسق التركيب، وهذا عكس الفاصلة القرآنية التي تأتي ((مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها، تعلقا تاما، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدي في مكانها جزءا من معنى الآية، ينقص ويختلُّ بنقصانها))[١]. وهذا ما أعطاها مِيزة خاصّة لا يمكن مقارنتها بالكتابات الإبداعية البشرية التي يتخلّلها الضعف والنقصان، كما أنها تضيف إلى ((الآيات القرآنية جرسًا موسيقيًا له أثره الخاص في النفس والوجدان، فقد جاءت تلك الفواصل بإيقاعات مختلفة تتناسق مع سياق الآية وجوها المعنوي؛ إذ تعد جزء لا يتجزأ من الآية بل تكون متمّمة لمعناها، ومكملة لمضمونها، فهي تمنحها إيقاعًا موسيقيًا رائعًا، يبعث على الدهشة والانبهار والانجذاب إليها، بما تضيفه من سحر بياني فتّان))[٢].

ولأهمية الفاصلة هذه نجد أن طبيعة اختيارها في القرآن الكريم إنما يأتي بحسب حاجة السياق أو النظم إليها، لا بحسب مطلب شكلي مسبق يُفرض على

---

[١] من بلاغة القرآن: ٦٥.

[٢] (بحث)الجرس والإيقاع في الفواصل القرآنية، أنسام خضير جليل: ٢٢٢، مجلة كلية الآداب،جامعة بغداد، العدد٩٨.

سياق الآية، لذلك نرى أن النظم القرآني قد يحذف شيئًا من سياق الكلام، أو يزيد عليه شيئًا آخر، ولربما يُقَدِّم أو يُؤخّر أو يُبدّل لفظًا مكان آخر من أجل انسجام الفواصل ((فالصوت والموسيقى يعطيان انطباعات وأحاسيس تحقق قدرًا من حساب التوقع الذي تنتجه علاقة المتلقي باللغة واستئناسه بسياقها، وأساليبها))[١].

وبعد الذي سقناه من بيان قيمة الفاصلة، سنرصد بعض الظواهر التي نكشف عن طريقها القيمة الفنيّة والجماليّة لفواصل الآيات القرآنية. وهل مراعاة الفواصل يكون مجرد مراعاة شكليّة لرونق الآية اللفظي؟ أو أن هذه الفواصل تأتي مراعاة لمقتضيات السياق المعنوية، مع نسق الإيقاع الخاص بها؟ ومن هذه الظواهر:

١. الحذف مراعاة للفاصلة

ولحرص الأسلوب القرآني البديع على إيقاع ألفاظه وتناسق فواصله قد تُحذف بعض الحروف، أو الكلمات، أو الجمل، لتتوافق مع الفاصلة السابقة أو التالية لها من دون أن يحدث أي خلل في بنية النص أو المعنى، فالحذف من الأنساق التي تبحث عن إيقاع مفقود في سياق النص نتلمس وجوده في سلسلة الاختراقات التي تطابق الدال والمدلول[٢]. ومن الآيات التي جاء فيها الحذف مراعيًا السياق العام الذي ورد فيه ومراعيًا الفاصلة، قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾{طه: ٤٥}. والمحذوف في الآية هو متعلق (يطغى) وهو (علينا) الذي يعود على المثنى موسى وهارون (عليهما السلام). ويرى ابن

---

[١] الفاصلة القرآنية: دراسة في سبلها المغايرة وأثرها الأسلوبي(بحث)، أ.د. إياد عبد الودود الحمداني: ٩٩، مجلة المورد، العدد ٣، ٢٠١٤ م.

[٢] ينظر: شعرية الانزياح دراسة في جماليات العدول، د. خيرة حمر العين: ٢٥، دار اليازودي، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠١١م.

عاشور أن هناك احتمالين لحذفه، إما حذفه لدلالة نظيره عليه، أو حذفه مراعاةً للفاصلة، والتقدير: أو أن يطغى علينا[١].

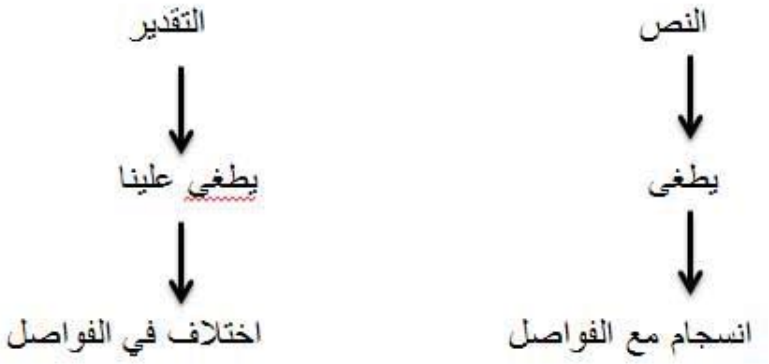

وكان السياق العام للآية يوحي بعدم الحذف؛ إذ ورد قبله الفعل (يفرط) مع متعلقه (...أن يفرط علينا..) وهذا الحذف له دلالته المعنوية والجمالية بجانب مراعاته الفاصلة، فلا شك أنَّهُ لو ذكر المتعلق (علينا) لم تنسجم الفاصلة مع فواصل الآي والتي تنتهي بمقطع طويل مفتوح (طغى/طـَ /غـَ)، و(يخشى /ي ـَخ /شـَ)، و(يطغى/ي ـَط /غـَ)، و(أرى /ء ـَ /ر ـَ)، و(الهدى /ه ـُ/د ـَ). كما أن التغيير في الإيقاع الصوتي داخل بنية الجملة أسهم في إحداث صدمة مغايرة للتوقّع عن طريق المفاجأة بالحذف. فقد صرح بالفاصلة وألمح بالمعنى، والتلميح أبلغ للمعنى، وظهور الفاصلة أبلغ للسامع.

وقد لا يكتفي بحذف كلمة واحدة فقط، بل يحتاج لحذف أكثر من كلمة من أجل أن تنسجم الفاصلة، وهو ما جاء في الآية التالية لها في السورة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ {طه: ٤٦}.

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير: ٦/ ٢٢٧.

فالمحذوف في هذه الآية هو مفعول أسمع وتقديره (أقوالكما) ومفعول أرى وتقديره (أفعالكما)[١]، والسياق القرآني ((أنزل فعلي (أسمع وأرى) منزلة اللازمين؛ إذ لا غرض لبيان مفعولهما بل المقصود: أنّي لا يخفى عليَّ شيء. وفرع عليه إعادة الأمر بالذهاب إلى فرعون))[٢].

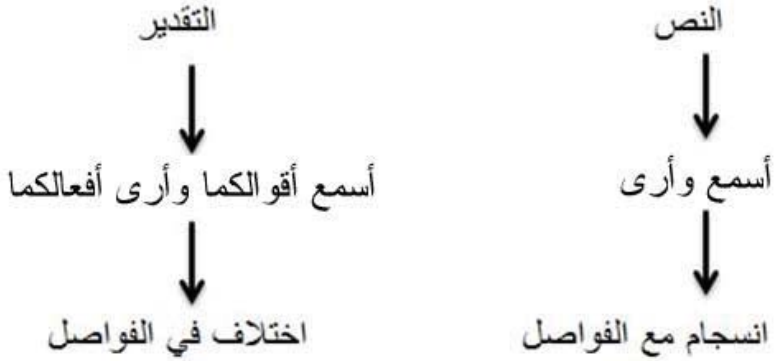

وقد أسهم هذا الحذف كما في الآية السابقة بالمحافظة على نسق أسلوبي واحد وهو تحقيق التناسق والانسجام بين الفاصلة (أرى) والفواصل التي تتقدمها والتي تلتها؛ إذ إنَّ جميع هذه الفواصل مبنية على الألف، وهو من الحروف الهوائية الَّتِي تخرج من أقصى الحلق[٣]، الذي ينسجم مع شخصيّة السورة المكيّة التي يشيع فيها جوّ الحوار ويغلب على آياتها الانتهاء بالفواصل المطلقة الحركة بالفتح المتحول إلى ألف. فالنهاية بهذه الفاصلة ناسب تمام الوزن والمعنى؛ إذ أسهم الحذف في استمرار الإيقاع الملحوظ والمرتكز على صوت المد الصائت

---

[١] ينظر: تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ): ٦/ ٢٣١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م .

[٢] التحرير والتنوير: ١٦/ ٢٢٨.

[٣] ينظر: العين مرتبًا على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ): ٤٢/١، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م .

الطويل(الالف)، وهذا ما جعل الفاصلة مستقرّة في مكانها متلائمة مع سياقها بلا نفور أو قلق؛ إذ لو تغيّرت لاختل النظام واضطرب الفهم.

٢. الاستغناء بالتثنية عن الإفراد

من المظاهر الأسلوبية البارزة عدم سير الكلام على نمط واحد والتنقل في صيغ الكلام بين صيغة وأخرى؛ إذ قد يستغني الكلام عن صيغة المفرد بصيغة المثنى لتنسجم الفاصلة مع سياقها ما يضيف إليها حلية جمالية لا تقتصر على الرونق اللفظي فحسب بل تؤدي معنى جديدًا يظهر عن طريق الكشف عن معاني النص المتعددة كقوله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾{الرحمن: ٤٦}.

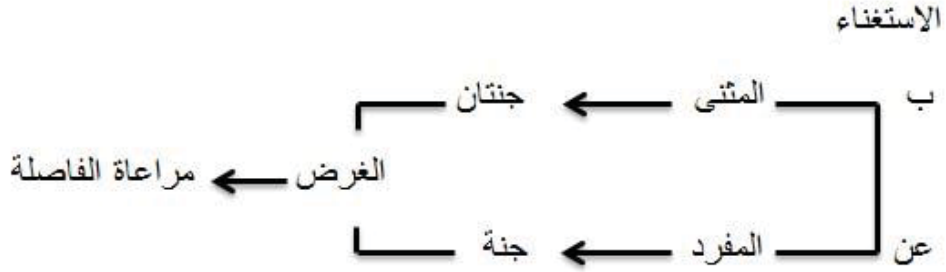

فقد ذهب الفرَّاء (ت٢٠٧هـ) إلى أن المراد به جنّة واحدة، ولكنه عدل بها إلى التثنية نظيرًا لما تستعمله العرب في أشعارها[١]. فيما تخالف عائشة بنت الشاطئ الفراء وترى أن الكلام لا عدول فيه بقولها فـ((ليست تثنية جنتين مرادًا بها الإفراد وعدل القرآن إليها مراعاةً للنظم كما ذهب (الفرّاء)؛ وإنما السياق قبلها وبعدها على التثنية. وواضح أن المراد بالآية : ولمن خاف مقام ربّه من الإنس والجان، جنتان (ذواتا أفنان)))[٢]. ومع اختلاف الآراء في بيان القصد من هذا

---

[١] ينظر: معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ): ١١٨/٣، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م .

[٢] الإعجاز البياني للقرآن ومسائل بني الأزرق، د. عائشة بنت الشاطئ: ٢٥٥، دار المعارف بمصر، (د. ط)، ١٩٧١م .

العدول إلا أننا نجد انه قد أسهم في إعطاء هذه الآية نبرًا موسيقيًا اثّر في نفس القارئ وأسهم في جذب انتباهه عن طريق التوافق بين هذه الفاصلة وأغلب فواصل السورة الأخرى المختومة بألف ونون التثنية التي نشأ عنها المقطع المديد الذي تكون من صامتين (ت، ن) بينهما صائت طويل (الالف)، كما في (جنتان/ج ـَ ن/ ن ـَ / ت ـَ نَ)، وفي (تكذبان /ب ـَ نَ)، وهذا الاستغناء جعل الفاصلة تنتهي نهاية متوازية مع بقية الفواصل التي هيمنت عليها صيغة التثنية.

٣. الاستغناء بالإفراد عن التثنية

هو عكس السابق؛ إذ يَستغني السياق عن صيغة المثنى بصيغة المفرد، ليحقّق انسجامًا لفظيًا ومعنويًا على السواء ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ {طه: ١١٧}.

فقد استغنى عن المثنى (تشقيا) بالمفرد (تشقى)[١]، بإسناده فعل الشقاء إلى الضمير المستتر (أنت) العائد على المفرد آدم عليه السلام. بينما ظاهر السياق يُشيـــر إلى إسناده إلى التثنية (هو وزوجه) أي: فلا يخرجنَكما من الجنة فتشقيا[٢].

فإن نسبة الشقاء إلى آدم دون حواء (عليهما السلام) بعد إشراكها معه في الخروج لأنه تضمن شقائه وشقاء أهله، وفي سعادته سعادتهم، فاقتصر الكلام على ذكره دونها مع ما فيه من المحافظة على الفواصل[٣].

---

[١] ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٥ / ١٧٩٩، وينظر: القول الوجيز في فواصـــل الكتـــاب العزيز، الشيخ رضوان المخللاتي (ت ١٣١١ هـــ): ١٣٧، ط١، ١٤١٢هـــ، ١٩٩٢.

[٢] ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبـــل: ٩٨، دار الفكـــر العربـــي، (د.ط)، ١٤١٨ هـــ - ١٩٩٨ .

[٣] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود بن محمـــد العمـــادي (ت ٩٨٢هـــ): ٦٧١/٣، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الريـــاض، (د.ط)، (د.ت).

ويبدو أن هذا العدول الأسلوبي في الفاصلة مع ما فيه من دلالة معنوية، فهو يحتمل دلالة صوتية جميلة عن طريق إحداث الانسجام بين فواصل الآيات الأخرى؛ ((إذ أن الفواصل في هذه الآية مختتمة بألف مقصورة، فجاءت على هذه الصورة لتتناسب الفواصل، وتناسب الفواصل من الأمور التي تطلب في بلاغة الكلام))[1]. وعلى الرغم من تأديته للمعنى بصورة مغايرة فإنه أدى إيقاعًا لفظيًا جميلاً منسجمًا مع السياق، فالفواصل السابقة والتالية لها تُختتم بمقطعين صوتيين فقط مقطع قصير، ومقطع طويل مفتوح(ت_َش/ ق_َ)، وهذا ناسب الفاظ : (أبى/ ء_َ / ب_َ)، و(تعرى/ت_َع / ر_َ)، و(تضحى/ت_َض/ح_َ)، و(يبلى/ ي_َب / ل_َ)، بخلاف لو جاء اللفظ على التثنية؛ إذ تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع صوتية (تشقيا/ت_َش/ ق_َ / ي_َ)، وهذا يؤدي إلى الاختلاف في الفواصل. لذلك استغنى بالمفرد عن المثنى ليشكل نسقًا موسيقيًا خاصًا بهذه الآيات لو لم يأت على هذه الشاكلة لضاع المعنى العام بضمنه الفاصلة والتنغيم والسبك النصي المتماسك.

ومثاله أيضًا قوله تعالى أيضًا في سورة (ق): ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ {ق: ١٧}.

---

[1] من أسرار التعبير القرآني في القرآن الكريم، بناء التراكيب، د. عبد الفتاح لاشين: ١٥٦، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٣٥ هـ، ٢٠١٤ م .

أي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد[١]. فجعل القعيد واحدًا واكتفى به عن صاحبه لوضوح المعنى[٢]؛ إذ وقع الانتقال في حالة الاصطحاب هنا من المثنى (قعيدان) إلى المفرد (قعيد)[٣]. وهذا الانتقال بين الإفراد والتثنية أدّى إلى استمرار الإيقاع الصوتي الذي تكون من الكلمات التي تنتهي بمقطع مديد نشأ من صامتين يتوسطهما صائت طويل(قعيد/ق_ِ/ع_ِ د)، و(وريد/ و_َ / ر_ِ د)، و(تحيد/ ت_َ / ح_ِ د)، و(وعيد /و_َ / ع_ِ د) والتي انتهت بأكثر من(٢٧) فاصلة بحرف الدال.

ونظير ذلك قول الفراء في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ {الشمس: ١١ – ١٢} بأنَّهما رجلان: قدار وآخر معه، ولم يقل أشقياها مراعاة للفاصلة[٤]. ويرى أبو السعود أن هذا الأمر دارج عند العرب ((فان افعل

---

[١] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ): ٢٦ / ١٧٩، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

[٢] ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣ /٧٥ .

[٣] ينظر: تجليات الالتفات في فضاء الخطاب القرآني، د . نوافل يونس الحمداني: ٤٣، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤م .

[٤] ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ٢٦٨، وينظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي: ٣٩، دار عمار، عمان، ط ١، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م .

التفضيل إذا أُضيف يَصلُح للواحد والمتعدّد والمذكَر والمؤنّث))[١]. فالانتقال من اللفظ المثنى (أشقياها) الذي يتكون من اربعة مقاطع صوتية (ء_َش/ ق_ِ/ ي_ َ /ه_ َ)، إلى المفرد (أشقاها) الذي تنتهي بثلاث مقاطع صوتية(ء_َش/ ق_ َ / ه_ َ)، كما في بقية الفواصل لم يأت لمراعاة الفاصلة فحسب، بل مراعاة للغة العرب التي نَزَلَ بِهَا القرآن الكريم.

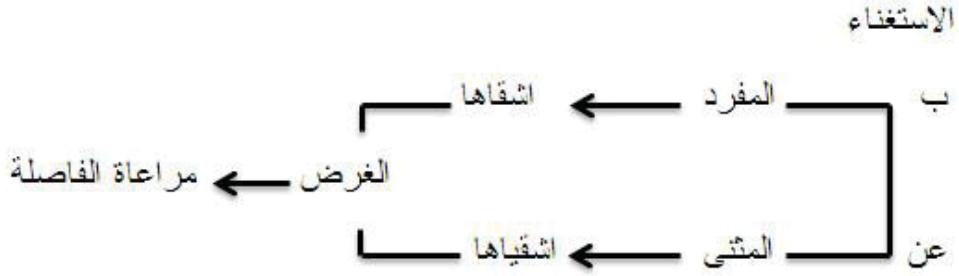

٤. الاستغناء بالجمع عن التثنية

لا يختلف هذا النوع عن سابقيه في جمال الانتقال من صيغة إلى أخرى، فقد يستغني بصيغة المثنى عن الجمع لغاية إعجازية بليغة كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ {فصلت: ١١}.

إذ جاء قوله (طائِعَين) جمعًا منصوبًا على الحال من السماء والأرض[٢]. في حين أن سياق الكلام كان يشير إلى مجيئه مثنى (طائعتين) وقد تساءل الزمخشري (ت٥٣٨هـ) عن هذا العدول قائلاً: ((فان قلت: هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى؛ لأنهما سموات وأرضون قلت: لما جعلن

---

[١] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٥ / ٥٣٨ .

[٢] ينظر: أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي (ت ٥٤٢هـ): ٢ / ٤٧، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م .

مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين))[١].

ولو أجرى اللفظ على القياس فقال (طائعتين) ولم يقل (طائعين) لضاعت قيمة الفاصلة والتنغيم المعتمدة على صوت المد في الآيات السابقة لها(رب العالمين، سواء للسائلين)، والتالية لها (العزيز العليم)، والتي تنتهي بمقطعين صوتيين، قصير، يتبعه مقطع مديد(عالمين /لـَ / مـِ نِ)، و(سائلين/ءـِ/ لـِ نِ)، و(طائعين /ءـِ/ عـِنِ)، و(عليم /عـَ / لـِ مِ) وهذا ما جعل الفواصل متوافقة بخلاف لو جاء اللفظ مثنى على تقدير (طائعتين) لاختلف ايقاع الكلمة مع نظيراتها؛ إذ ستنتهي بثلاثة مقاطع صوتية بدل مقطعين (طائعتين/ءـِ/ عـَ/ تـِنِ). فكأنما قالا (اتينا بما فينا طائعين) وهن بما فيهن سيكون جمعًا، وهذه دلالة الكثرة التي تدل على عظمة الخالق في إخضاع كل الموجودات في السماوات والأرض لقدرته. ومعنى ذلك أن هذا الانتقال في الفاصلة جعلها تلتحم التحامًا تامًا مع معنى الآية، فحافظ على معنى الآية الدقيق وأعطاها بُعدًا تعبيريًا يتلاءم مع سياقها.

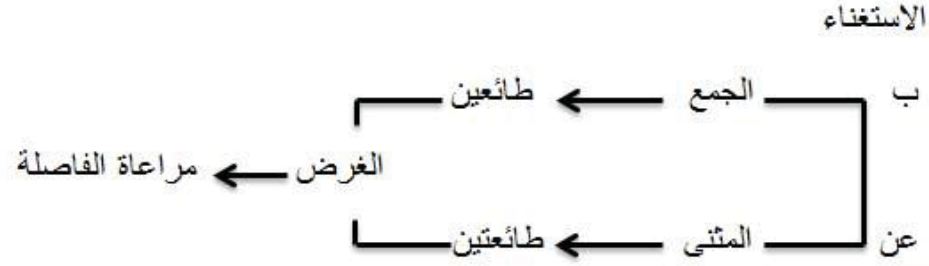

[١] تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ): ٤/ ١٨٤، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٥. تكرار الفاصلة

يعد التكرار ملمحًا أسلوبيًا يحقق جوًّا موسيقيًا ونفسيًا عند المتلقي؛ إذ يَمُدّ النص بإيقاع صوتي مميز، فضلاً عن أثره في توكيد المعنى وتقويته، والتنبيه على العناية باللفظ المكرر، وهذه القيمة الكبيرة للتكرار تساعد في تكوين موسيقى النص، وإبراز جماليته عن طريق توليد التفاعل النفسي والمشاركة الوجدانية من قِبل القارئ المتلقي نحو اللفظ المكرَّر، و((لعل من أبرز صور التناسق الجمالي في ظواهر الاشياء هو الانسجام في تكرار الوحدات الجزئية المكونة للكل، والتكرار في التعبير الادبي هو تناوب الألفاظ واعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغمًا موسيقيًا يقصده الناظم))[١]. ولا يشترط أن يكون التكرار في الألفاظ فقط بل قد تتكرر آية كاملة أكثر من مرّة وتكون هي الفاصلة المهيمنة على السورة كما جاء ذلك في سورة المرسلات؛ إذ تكررت آية ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ عشر مرات، وكذلك في سورة الرحمن؛ إذ تكررت الآية القائمة على التثنية ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إحدى وثلاثين مرة مثّلت من خلالها لازمة موسيقية أضفت على السورة رونقًا خاصًا أفاد من نسق تكرارها[٢] وقد أسهمت في شدّ المتلقي ((لأنَّها تخيب أفق انتظاره فتزيد على إثر ذلك قدرته على التركيز والإفادة من المعاني السياقية المتولّدة))[٣].

وتعدّ من أكثر صور التكرار جماليّة في كتاب الله العزيز، وقد أفاد هذا التكرار معنىً جديدًا أراده الله تعالى في كل موضع وردت فيه. فالسورة في صدد

---

[١] جرس الألفاظ :٢٣٩.

[٢] ينظر: التصوير المجازي أنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن، أ . د إياد عبد الودود الحمداني: ٣٩، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣م .

[٣] الفاصلة القرآنية دراسة في سبلها المغايرة وأثرها الأسلوبي (بحث): ١٠٥ .

تعداد الله تعالى لنعمه على عباده، وتذكيرهم بآلائه، وتنبيههم على قدر هذه النعم وقدرته عليها، عليهم، وهذا التكرار لآية الاستفهام المبني على التثنية عقب كل نعمة كان الغرض منه تقريع الإنس والجن وتنبيههم[١]. كما أن هذه ((التثنية التي تنفرد بها اللغة العربية ليست تثنية مفردين، بل تثنية جموع (معشر الإنس) و(معشر الجن) مما يحقّق الغرض الديني في مخاطبة الجماعات، ومما يُثري الأداء الفني))[٢].

ولا يخفى على القارئ الكريم ما لهذه الفاصلة في سورة الرحمن من ((قفلة لطيفة توضيحية كأنها قافية شعرية تبعث الراحة في نفس القارئ من البهر، وترشده إلى إجادة موطن الوقف وتلوين الصوت))[٣]. وسورة الرحمن من السور القلائل الَّتِي تكررت فيها فاصلة المثنى، والتي ينشأ عنها المقطع الصوتي المديد (بـِ ـَن)، المكون من صامتين(ب،ن) بينهما صائت طويل(الالف)، وانتهاء الفاصلة بالألف والنون يزيد من روعة التلاوة لما تنتجه من إيقاع محبّب إلى نفس المتلقي، ولما تمدّ به القراء من الفُسحة الواسعة ألوان التنغيم الأخّاذ، لكي يستثيروا من خلاله مشاعر السامعين، ويجعلونهم يردّدون هذه الفاصلة مع نهاية كل آية أو آيتين دون ملل أو ضجر.

---

[١] ينظر: البلاغة الصافية تهذيب مختصر التفتازاني (ت ٧٩١ هـ) في المعاني والبيان والبديع: ٢٢٣، تقديم وتهذيب وتسهيل محمد أنور البرخشاني، منشورات بيت العلم، (د. ط)، (د، ت)، وينظر: فواصل الآيات القرآنية، د كمال الدين عبد الغني المرسي: ٧٦، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م .

[٢] الفاصلة في القرآن: ٣٠٧ .

[٣] فواصل الآيات القرآنية: ٧٧ .

وهكذا نجد أن اهمية التكرار تنشأ من ترديد الصوت نفسه، أو اللفظة، أو العبارة، فيكوِّن صورة صوتية تخاطب وجدان المتلقي، ويكون لها أثر سمعي كبير يكسو النص ملامح جمالية.

٦. تغيير النسق

أي تغيير أسلوب الكلام الَّذِي يأتي على نظام متفق؛ إذ يميل التعبير القرآني إلى تغيير الإيقاع الذي ينتج من تكرار الأصوات نفسها ما يؤدّي إلى الرتابة في بعض آياته وما يولّده لدى المتلقي من بعض الملل لتعوّد السمع على نمط مكرّر من الإيقاع الصوتي والذي تقل معه متعة النفس[١]. ومنه ما نجده في سورة البلد التي تبدأ بسبع آيات تُختتم بألفاظ مفردة تنتهي بفاصلة الدال في(البلد، ولد، كبد، أحد، لبدا)، حتى ينتهي هذا الإيقاع بالانتقال إلى إيقاع صوتي آخر ينتهي بـــ(الياء والنون)، ينتمي إلى ألفاظ التثنية في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ {البلد: ٨ – ٩ – ١٠}.

فالنسق الصوتي الذي نشأ من تكرار صوت (الدال) في نهاية الآيات التي ابتدأت بها السورة اعطى ايقاعًا جامدًا، فالنهاية بهذا الصوت الجهوري تؤدي إلى صعوبة في النطق لخروجه من طرف اللسان واصول الثنايا، لذلك مثّل تغاير النسق بالانتقال إلى (نون المثنى) راحة للقارئ، والمتلقي، بعد العناء في نطق صوت (الدال). وهذا الانتقال في الفاصلة فاجأ المتلقي الذي كان ينتظر فاصلة أخرى تنتهي بصوت (الدال)، ولكنه تفاجأ بالانتقال إلى فاصلة غير متوقّعة تنتهي بصوت(النون). ما أحدث دهشة شعورية لديه ؛ إذ كان يعتقد شيئًا ما وإذا به يجد شيئًا مختلفًا أمامه. وهو من بدائع الأُسلُوب القرآني.

---

[١] ينظر: لغة القرآن الكريم في جزء عم، محمود أحمد نحلة: ٣٥٠، دار النهضـــة العربيـــة، بيروت، (د،ط)، ١٩٨١ .

٧. الفواصل الداخلية

إن اعتماد البيان القرآني على نسق موسيقي خاص ينتهي بنهاية الآية لم يحل دون ورود فواصل داخليّة للآية الواحدة فيأتي ((بالقرينة على نسق قرينة سابقة عليها في ترتيب الكلمات، مع اتفاق أواخِر القرائن في الوزن والروي))[١]. كقوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ (الرحمن: ١٧). وكقوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الروم : ١٧).

ففي هذه الآيات جملة موسيقية ذات كيان متميّز، تمثّل بانفراد بنيتها بوجود فاصلة داخلية تتلاءم مع فاصلة نهاية الآية[٢]. فتأمل الآية الأولى في سورة الرحمن التي ارتكزت فيها الفاصلة الداخلية (المغربين) على فاصلة الآية (المشرقين) الذي تنسجم بدورها مع السياق العام للسورة المبني على صوت النون المسبوق بالألف الممدودة ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وهذا الإيقاع الموسيقي المتوازن في حسن نظمه أدّى إلى زيادة جمالية النص، فلو جاء اللفظ مفردًا على تقدير: (ربّ المشرق والمغرب)، لوجدنا اختلال هذا الإيقاع الناتج عن التثنية. وفي هذه الآية تأكيد للكلام بأن الفاصلة تأتي متوافقة مع السياق العام الذي ترِد فيه، فالمشرق والمغرب ورد بأكثر من صيغة في القرآن الكريم، فقد وردت بصيغة المفرد في قوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ {المزمل: ٩}، وكذلك بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ {المعارج: ٤٠}، فلو جاء اللفظ مفردًا أو جمعًا لوجدنا الإذن

---

[١] فواصل الآيات القرآنية: ٧٧ .

[٢] ينظر: الفاصلة في القرآن الكريم: ٣٦٠ .